مقـــدمة :

تتضمن هذه المقالة وصفا عامـا لطبيعة مدينة الأبيض وتطورها على مدى السنين مع التركيز على العوامل المختلفة التى سـاعدت على جـذب مجموعات بشرية متباينة نحو هذه المدينة .

ومن البداية يتضح لنا أن ماضى المدينة وحاضرها، وحتى تطورها المتوقع فى المستقبل ، كل هذا مرتبط إرتباطا وثيقا بكردفان أو المنطقـة الخلفية التى تحيط بالمدينة والتى تؤثر تأثـيرا مباشرا عليها . وبالتالى فـأن هـذه الحقيقة تحتم علينا التعرض لمميزات كردفان الطبيعية أو الجغرافية حتى تتمكن من معرفة دور هذه المميزات فى نشأة وتطور الأبيض كمدينة تجـارية هامة ومركز تجمع لمجموعات مختلفة من السكان .

بيئة كردفان الطبيعية :

تكون مديريـة كردفـان شـكلا مستطيـلا يمتـد بالتقريب بـين خطى عرض ١٠° و ١٦° شمالا ويحد بخطى الطـول ٢٧° و ٣٢° شرقا ، وتغطى مساحة شاسعة تقدر بحوالى ٥٤٦ و ٣٨٠ كيلو مترا مربعا . ويمكننا أن نقسم هذه الرقعة الواسعة إلى ثلاث مناطق رئيسية مختلفة من عدة أوجه (٢) : ـ

---

١ ـ المعلومات التى تضمنتها هذه المقالة هى جزء من رسالة عن مدينة الابيض تقدمت بها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعـة مانشستر عام ١٩٧١ . هذا وقد تكفلت مؤسسة فور مشكورة بنفقات الدراسة الميدانية والتى قمت بها فى الابيض عام ١٩٦٨/١٩٦٧.

٢ ـ للمزيد من المعلومات عن مناطق كردفان المختلفة انظر :

March, G. F. "Kordofan Province", in J. D. Tothill (editor), Agriculture in the Sudan, London, 1948.

أولا : ــ شمال كردفان وهذه منطقة شبه صحراوية تتكون من سهول رملية تنبت بها أشجار شوكية متفرقة وحشائش قصيرة ، ونظرا لقلة الأمطار وشحها وفقر التربة ، لا تصلح هذه المنطقة للإنتاج الزراعى ولذلك فهى منطقة رعوية فقط .

ثانيا : ــ وسط كردفان ويعرف هذا الإقليم بالقوز ، وتقلب على طبيعته الأراضى الرملية ، ويتمتع بأمطار أكثر نسبيا من منطقة شمال كردفان ونتيجة لهذا تنمو فيه نباتات طبيعية مختلفة من حشائش وأشجار ، أهمها أشجار الهشاب . زيادة على ذلك ، القوز منطقة صالحة للزراعة خاصة زراعة الدخن والسمسم والبطيخ . تجدر الإشارة إلى أن القوز يضم منطقة الخيران حول بارا وهى منطقة زراعية هامة لإنتاجها الوفير من الخضروات التى تروى من الآبار .

ثالثا : ــ جنوب كردفان ، وهى منطقة سهلية واسعة تتخللها مجموعات من التلال تعرف بجبال النوبة . ويحظى هذا الجزء من كردفان بأمطار غزيرة وأكثر فى معدلها من أمطار المناطق الأخرى من المديرية . أما من ناحية النباتات الطبيعية فهناك خليط منها ينمو حول التلال وفى المناطق القريبة منها ، بينما توجد الحشائش والأشجار المختلفة فى المناطق المنخفضة والبعيدة من التلال . وفى الغالب الأعم تستغل السهول الطينية فى الرعى بينما تقام الزراعة المكثفة على التلال . ولكن فى السنوات الأخيرة إزداد إستغلال السهول الطينية من أجل الزراعة ، ويمكننا أن نقول بإن جنوب كردفان منطقة زراعية هامة تنتج العديد من المحصولات من بينها الذرة بأنواعها والفول السودانى والسمسم والقطن .

نخلص من هذا الذى ذكرناه أن كردفان ككل عبارة عن منطقة زراعية غنية بالمحصولات المختلفة . وإلى حد كبير فإن هذه المنطقة تستمد أهميتها من النشاط الإقتصادى الناتج من البيئة الملائمة . وكمثال لذلك النشاط هنالك جمع الصمغ العربى وإنتاج المحاصيل المتعددة بالإضافة إلى تربية الماشية .

زيادة على ذلك تستمد كردفان أهميتها من عامل طبيعى أو جغرافى آخر ألا وهو موقعها الممتاز بالنسبة للمناطق المحيطة بها أو المجاورة لها • فحدودها مشتركة مع ست مديريات على النحو التالى : ــ المديرية الشمالية من جهة الشمال ، مديرية الخرطوم من جهة الشمال الشرقى ، مديرية النيل الازرق من ناحية الشرق ، مديرية بحر الغزال فى الجنوب ، مديرية أعالى النيل من ناحية الجنوب الشرقى ، ومديرية دارفور غربا • ومن الناحية الطبيعية فمديرية كردفان تحد من الشمال بالصحراء الليبية ، ومن الشرق بوادى النيل ومن الجنوب بسهول النيل الأبيض الفيضانية ومن الغرب بالإمتداد الإفريقى• وهذه المناطق لا تختلف جغرافيا فحسب ، وإنما تختلف أيضا من ناحية التكوين البشرى والثقافى • فالمناطق الشمالية والشرقية يغلب على سكانها الإنتماء السامى والحامى ويتكلمون العربية ويدينون بالإسلام • أما إلى الجنوب والغرب فالسكان ينحدرون فى الغالب الأعم من أصل زنجى ويتكلمون لغات سودانية ونيلية ويدينون بديانات وثنية مختلفة •

ومن هنا يمكننا أن نقول إن كردفان تمثل المنطقة الفاصلة بين مناطق متباينة جغرافيا وثقافيا وبسبب هذا الموقع فقد كانت كردفان ، ومنذ القدم ، معبرا للهجرات البشرية بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب • وبما أن الوصف التفصيلى لتلك الهجرات البشرية يقع خارج نطاق هذه الدراسة إلا أن الضرورة تقتضى الإشارة إلى بعضها والنتائج المترتبة عليها •

دخول العرب :

لقد ظلت كردفان ولفترة طويلة فى تاريخها موطنا لبعض العناصر الزنجية الشبيهة بالنوبة فى جنوب كردفان • ولقد تعرضت تلك العناصر الزنجية ، وخاصة فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، لضغوط المجموعات العربية القادمة من جهات دنقلا بحثا عن المرعى ووطن جديد لها • وعند قيام سلطنة الفونج فى القرن السادس عشر تعاظمت سرعة دخول العرب من أفراد وجماعات وأخذ الكثيرون منهم ينزحون إلى كردفان ويستقرون بها (١) • ولا نعرف

١ ــ للمزيد من المعلومات عن الفونج وسلطنتهم فى سنار انظر :
Crawford, O. G. S., The Fung Kingdom of Sennar, Gloucester, 1951.

كثيرا عما حدث بالفعل عن المواجهة بين العرب والزنوج فى تلك الفترة ، ولكن الإحتمال الأرجح هو أن الزنوج تراجعوا جنوبا وأصبح الجزء الأكبر من كردفان مأوى لعناصر عربية مختلفة ، فمنهم من عاش حياة بداوة وترحال فى شمال كردفان ومنهم من استقر فى وسط كردفان وامتهن الزراعة • وكمثال للمجموعة الأولى نشير إلى قبيلتى الكبابيش والكواهلة • أما المجموعة الثانية فتمثلها قبيلتا البديرية والجوامعة • وهنا تجدر بنا الإشارة إلى التزاوج الذى تم بين أسلاف هذه القبائل وبين النوبة والسكان المحليين عند دخول العرب إلى كردفان •

العناصر الدارفورية :

فى نفس الوقت الذى نزحت فيه القبائل العربية غادرت عناصر زنجية عديدة مناطقها فى الغرب وشقت طريقها إلى كردفان • وكمثال لذلك المسبعات التى هاجرت إلى كردفان عند قيام سلطنة الفور ، نتيجة لحربهم مع الكنجارة حكام دارفور فى ذلك الوقت (١) • وتمكن أفراد قبيلة المسبعات من السيطرة على معظم إقليم كردفان ماعدا الأجزاء الجنوبية التى ظلت تابعة لحكام الفونج فى سنار والتى كانت مصدرا هاما للرجال للخدمة العسكرية وأيادى رخيصة للعمل فى الزراعة • ومن الواضح أن مصالح الفونج والمسبعات أضحت فى تضارب عند احتلال الأخيرين لكردفان ، ولقد كان الصراع بينهما على أشده للسيطرة على كردفان ومواردها • وفى أواسط القرن الثامن عشر تمكن الفونج ولفترة قصيرة من فرض نفوذهم على معظم أجزاء كردفان ، وفى نفس الوقت فكر الكنجارة ، خصوم المسبعات ، فى بسط نفوذهم على الإقليم ليدور فى مدار نفوذهم ، ولقد تمكنوا أخيرا فى عام ١٧٨٥ من ضم كردفان إليهم وظلوا سادتها حتى لحظة إنتزاعها منهم بواسطة القوات التركية المصرية عام ١٨٢١ م • يمكننا أن نقول إن الكنجارة قد استطاعوا خلق نوع من الإستقرار فى منطقة نفوذهم ــ دارفور وكردفان ــ الأمر الذى شجع التجارة وانتقال الناس من وإلى كردفان •

---

١ ــ انظر Arkell, A. J. "The history of Darfur, 1200—1700", Sudan Notes and Records, vol. 32, pp. 37—70, and 207—238, 1951; and vol. 33, pp. 129—155, and 244—275, 1952.

هجرة سكان المناطق النيلية الى كردفان :

يقودنا هذا الى الحديث عن سكان القرى الواقعة على ضفاف النيل . هاجرت أعداد كبيرة من سكان المناطق النيلية فى اتجاه الغرب وصاروا عنصرا هاما فى الحياة السياسية والإقتصادية لاقليمى كردفان ودارفور . ولقد لاحظ براون (١٧٦٨ — ١٨١٣) الرحالة الانجليزى والذى زار كوبى ، المركز التجارى والإدارى لدارفور آنذاك بأن « اغلب سكان كوبى كانوا من التجار ، ومعظمهم يشتغلون بالتجارة مع مصر ، وبعض هؤلاء التجار مواطنين مصريين ، إلا أن العدد الأكبر منهم جاء من النيل (١) » . هذا ولقد وضح براون بأن الإضطرابات السياسية على النيل هى التى دفعت بعض أهل النيل للهجرة إلى كردفان ودارفور فهو يقول « لسنوات كثيرة كانت مواطنهم الأصلية فى دنقلا والمحس وكل المناطق القريبة من النيل وحتى سنار ، كانت مسرحا للتدمير وإراقة الدماء ، وبدون حكم مستقر إذ كانت تتنازعها الخلافات الداخلية وتوهنها هجمات الشايقية والقبائل العربية الأخرى والذين سكنوا فى المنطقة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر . ونتيجة لذلك فقد هاجر إلى الغرب كل من كان قادرا على إعاشة نفسه عن طريق التجارة أو العمل اليدوى (٢) . وهنالك عامل آخر دفع هذه القبائل إلى الهجرة نحو الغرب وهو العامل الإقتصادى . فنتيجة لضيق الأراضى الزراعية على ضفتى النيل هاجرت هذه القبائل إلى الغرب . ونخلص إلى أن أسبابا سياسية واقتصادية دفعت سكان المناطق النيلية للهجرة إلى كردفان ودارفور بالإضافة إلى احتمال الثراء عن طريق العمل التجارى . أما عن طبيعة هذا العمل التجارى فيشير إليه الرحالة النمساوى بوركهاردت (١٧٨٤ — ١٨١٧) والذى زار السودان فى طريقه إلى مكة قبيل الفتح التركى المصرى . يقول بوركهاردت « تمتلىء أسواق شندى عند وصول أى قافلة من كردفان بالرقيق وهذا من أهم واردات ذلك الإقليم ، ويجلب تجار كردفان أيضا الصمغ العربى وهو أحسن الأصناف الموجودة فى بلاد الزنوج والعرديب واللبان ، والعطرون من دارفور ،

---

١ — Browne, W. G., Travels in Africa, Egypt and Syria from the year 1792 to 1798, 2nd. ed., London, 1806, pp. 271—272.

٢ — المصدر السابق صفحة ٢٧٢ .

والششمة وهو نوع من الحبوب يستعمل لعلاج أمراض العيـون ، والشوش وهى حبوب الواحدة منها حمراء اللون ذات نقطة سوداء فى طرفها ويستعمل كالعقود ، وكذلك يبيعون الحبال • أما الأخراج فهى سـلعة هامة فى تجارة مصر ودارفور وتستعمل فى المدن المصرية وخاصة فى القاهرة لنقـل المياه من النهر إلى المدينة لاستعمالها فى أغراض المعيشة اليومية ويجلب تجار كردفـان نوعا من قرب الماء مصنوعة بمهارة فائقة ، ومن واردات كردفان أيضا أقـداح خشبية كبيرة وهى عبارة عن عـروق بعض الأشـجار التى تجوف ثم تمسح بالدهن وتعرض على النار لتكتسب لونا أسود ؛ وريش النعـام يجلبه تجار كردفـان لأن الطلب عليـه كثـير » (١) •

أما عن واردات كردفان نفسها فيكتب بوركهاردت ويقول : « يأخذ تجار كردفان من شندى بعض الصـندل والمحلب والكحل والسـكسك وكميات هائلة من البهارات وخصوصا القرنفل ، وفى كل أقاليم الغرب نجد الحاجة ماسة للبهارات والدمور من سنار ، والكتـان المصرى ، والملابس المصـنوعة مـن الحرير والتى تجلب من الحجـاز والتى يلبسـها الزعمـاء الذين يبدو عليهم الشغف للظهور باللبس الفاخـر الذى يميزهم عن عامـة الناس وهنالك البن والريش وهو نوع من الحجارة الكريمة الهندية » (٢) • وعليـه يمكننا أن نقول إنه فى فترة حكم الكنجارة قد انتعشت التجارة فى محور النيل ــ كردفان ــ دارفور • والجدير بالذكر أن بعض السلع التى كانت متبادلة فى هـذه التجارة مثل الصمغ العربى لاتزال تحظى بالأهمية فى الوقت الحاضر وبعض منها تضاءلت أهميته مثل ريش النعام ؛ أما الرقيق فقد وقف التعامل به نهائيا كسلعة تجارية • ويمكننا أن نضيف بأن بعض السلع التى ذكرها بوركهاردت كالمنسوجات مازالت تجد طلبا فى كردفان إلا أنها لا تأتى بالضرورة من نفس المصادر ، أو عن نفس الطرق التجارية القديمة •

كذلك قد نشطت حركة الحج إلى مكة إبان حـكم الكنجارة لدارفور ، وهنالك إحـدى الطرق التى يسلكها الحجاج من غـرب ووسط افريقيا مارا

١ ــ Burckhardt, J. L., Travels in Nubia, 2nd. ed., London, 1822, pp. 283—285.

٢ ــ المصدر السابق صفحة ٢٨٥ •

بكردفان عبر النيل إلى البحر الأحمر ومن ثم إلى مكة • وبمرور الزمن استقر كثير من الحجاج فى مناطق مختلفة من كردفان وهؤلاء يطلق عليهم فى السودان « التكارير » أو « الفلاته » •

مناطق الاستقرار فى كردفان :

من الواضح أنه نتيجة لموقعها الجغرافى فقد صارت كردفان ، ولقرون خلت ملتقى لمجموعات وثقافات متباينة وحلقة وصل هامة للتجارة بين المناطق المحيطة بها • وبالفعل فقد إزدهر عدد من المناطق السكنية فى أنحاء متفرقة من كردفان وخاصة حول موارد المياه وتقاطع الطرق ومن المؤسف أن المعلومات حول هذا الموضوع ضئيلة للغاية ولكن ما وصل إلينا من معلومات يؤكد أن مدينة الأبيض كانت ، حوالى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، أكبر وأهم منطقة سكنية فى كردفان فمثلا عندما كان براون فى دارفور جمع معلومات تفيد بأن الأبيض أكبر مدن كردفان (١) • وبالمثل فان بوركهاردت وصف الأبيض بأنها المدينة الرئيسية أو العاصمة لذلك الاقليم (٢) • فهذه المصادر ، بالإضافة إلى مايتناقله الناس من حديث ، تشير إلى أن الأبيض كانت ملتقى هاما للتجارة داخل كردفان والمناطق المتاخمة • ولقد جاء كل هذا نتيجة لعوامل طبيعية أو جغرافية يمتاز بها موقع المدينة • ومن المهم الآن أن نناقش بعض هذه العوامل •

مميزات موقع مدينة الأبيض :

تقع مدينة الأبيض فى تقاطع خطى عرض ١١ و ١٣ وطول ١٤ و ٣٠ وبالتالى فهى تتوسط منطقة القوز ، أو وسط كردفان • ومن هذا الموقع الممتاز تواجه مدينة الأبيض المنطقة شبه الصحراء من ناحية الشمال والمنطقة الطينية من ناحية الجنوب وبمعنى آخر فهى تقع فى أرض انتقالية تتوسط إقليمين متباينين • زيادة على ذلك فإن الأبيض تقع فى حوض منخفض يتميز بأرضه الرملية وسطحه غير المتماسك التربة • وعليه فإن الوصول إليها متيسر بعض الشىء بخلاف الأماكن السكنية الأخرى فى المنطقة الطينية إلى الجنوب حيث يتعذر التنقل وخاصة فى فصل الأمطار والذى يطول بعض الشىء عما يحدث

١ - Browne, W. G. Travels in Africa,.....etc. p. 558.
٢ - Burckhardt, J. L. Travels in Nubia, p. 283.

وسط كردفان • وبالمقارنة مع الأماكن السكنية فى منطقة شبه الصحراء حيث تشح المياه فإن الأبيض تتمتع بميزات كثيرة • فمتوسط هطول الأمطار السنوى فيها يبلغ ٣٦٨ مليمترا • وبحكم موقعها فى حوض أصبح ممكنا تجمع المياه فى « الفوّل » أو استخراج المياه الجوفية بواسطة الآبار • وبسبب هذه الخصائص وافتراض التبادل التجارى كان لابد للأبيض من أن تتطور كمدينة تجارية وملتقى لمجموعات بشرية مختلفة وكما سيتضح من الصفحات القادمة فإن الإستقرار السياسى قد أسهم أيضا فى جعل الأبيض مركزا هاما للتجارة ونقطة التقاء لأجناس مختلفة •

الأبيض فى القرن الثامن عشر :

المعلومات التى لدينا تشير إلى أن الأبيض قد صارت مركزا تجاريا هاما ومنطقة سكنية قبل حلول القرن التاسع عشر • فمثلا بوركهاردت يقول بإن الطرق القادمة من دارفور « تنتهى على حدود كردفان فى قرية تسمى «أم زميمة» ومن هناك تواصل القوافل سيرها فى أرض زراعية خصبة لمدة ثلاثة أيام تصل بعدها الأبيض حاضرة كردفان (١) » • ومن الأبيض يسافر التجار فى اتجاه الشمال الشرقى إلى شندى على نهر النيل • وقد أشار بوركهاردت أيضا إلى أن « الطريق من الأبيض إلى شندى طريق مأمون ، ويقطع فى خمسة عشر يوما ، منها الخمسة أيام الأخيرة يكون السير فى صحراء ينعدم فيها الماء (٢) »•

وهذه الأدلة توضح لنا أن الأبيض كانت تمثل حلقة وصل هامة فى التجارة بين دارفور والنيل • وبالتدريج بدأت الأبيض تنمو كمركز حضرى ، وقد استطاع الكنجارة ، سادة المدينة فى ذلك الوقت ، وبفضل جيشهم الكبير أن يسيطروا على المناطق الأخرى من إقليم كردفان • وبسبب حماية هؤلاء المقاتلين من الكنجارة وبدافع خلق فرص جديدة فقد قدم التجار من النيل ، وخاصة الدناقلة والجعليون ، إلى الأبيض ليقايضوا منتوجاتهم بسلع أخرى أهمها العاج والصمغ والرقيق والأبقار والجلود • وبمرور الزمن استقر هؤلاء

---

١ ـ بوركهاردت المصدر السابق صفحة ٤٣٧.

٢ ـ المصدر السابق صفحة ٢٨٣ .

التجار فى المدينة وكونوا أغلبية العاملين بالتجارة • وبالإضـافة إلى الكنجارة والقادمين من النيل فقد كان هنالك آخرون خاصـة النوبـة وبعض السكان المحليين والذين كانوا يقومون بالأعمال اليدوية • وعلينا أيضـا أن نذكر أن المدينة قد جذبت إليها أعدادا كبـيرة من الفلاته ، والذين عاشـوا كما يقول بوركهاردت فى حي خاص بهم وتحت حكم واحـد منهم (١) • وعلى العموم فهذه هى المجموعات القبلية والثقافية الرئيسية فى الأبيض فى خلال فترة حكم الكنجارة • أما عن نوع العلاقات التى سادت بين هـذه المجموعـات فـإن المعلومات عنها شحيحة للغاية • ولكن ، واستنادا إلى ما سـبق ذكره ، فليس من الصعب أن نقول بإن الأبيض فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر كانت تتميز بجنسيات وعناصر مختلفة كرستها اختلافات اقتصادية واجتماعية عريضة•

الأبيض فى القـرن التاسع عشر :

من المهم الآن أن ننظر إلى الأبيض فى القرن التاسع عشر • فبالرغم مـن أن المدينة دمرت تدميرا كاملا من قبل الأتراك إبان غـزوهم لكردفان إلا أن وجود هؤلاء الحكام الجدد بعد ذلك قوى من مركزها التجارى والإدارى • وبعد هزيمة الكنجارة،اختار الأتراك مدينة الأبيض عاصمة لإقليم كردفان الأمر الذى أسهم كثيرا فى نمو المدينة• فقد نمت المدينة بالتدريج حول المعسكر الذى ضربه الأتراك فى موقع المدينة القديم • وبمرور الزمن تم التزاوج بين كثير من الجنود ، وخاصة بين المصريين وسـكان المدينة وتم بذلك استقرارهم فيها • أما نسلهم الذى جاء نتيجة لهذا التزاوج فيطلـق عليـه فى السـودان إسم « المولدين » وهؤلاء كونوا عنصرا هاما من سكان المدينـة • وهنالك عنصر آخر من سكان المدينة هو مجموعة الأقباط الذين استجلبهم الأتراك للعمل فى سلك الكتابى وليساعدوا فى الأعمال المالية والإداريـة للدولـة • أما فى الحقل الإقتصادى فاهتم الأتراك بالتجارة مما سـاعد فى انتعاش تجارة العاج وريش النعام والصمغ وبعض المحصولات الأخرى • وبالإضافة إلى ما ينتج محليا ، فإن مقادير كبيرة من هذه السلع تم استيرادها من الأقطـار والمناطـق المجاورة لكردفان لتصدر للخارج مرة أخرى • ومن جهة أخرى فإن القوافـل

١ - Burckhardt, J. L. Travels in Nubia, p. 437.

القادمة إلى كردفان من القاهرة وسواكن وسنار تؤكد أهمية تجارة الإستيراد فى ذلك الإقليم • هذا ولقد كان تجار الأبيض يقومون بالعبء الأكبر من هذه التجارة فى صادرات وواردات كردفان • وقاد هذا إلى جذب أعداد متزايدة من سكان المناطق النيلية وانتعشت أيضا تجارة الرقيق لأن الأتراك كانوا فى حاجة إلى جنود لجيشهم وإلى أيدى عاملة رخيصة • وبسبب هذه التجارة لجأت العناصر الزنجية إلى أجزاء من الإقليم يصعب الوصول إليها ، إلا أن مجموعات كبيرة منهم كانت تفد إلى الأبيض بعد حملات الإغارة على تلك الأجزاء • ولم يكن جنوب كردفان هو المصدر الوحيد للرقيق ؛ وفى هذا يقول پالم : « يجلب الرقيق إلى هذا المكان (الأبيض) ليس من المناطق المجاورة فحسب،وإنما من كلة ، ياندة ، ونقا ، باقرمى، برقو، بيقو،وأجزاء بعيدة ولكن بأعداد أقل بالنسبة إلى مناطق الحدود » (١) • وكانت مصر وبعض الأسواق الأخرى تستقبل أعدادا من الرقيق إلا أن أعدادا كبيرة أخرى كان يحتفظ بها أهل الأبيض من حكام وتجار وجنود للعمل اليدوى فى المنازل • وبالتأكيد فإن التمايز السكانى فى المدينة قد ازداد بوجود هؤلاء الرقيق ونسلهم • وقد تسرى كثير من ملاك الرقيق الإناث منهم فنشأ جيل مختلط من السادة والرقيق فى المدينة • ومهما تكن مرامى الأتراك فإن قدومهم إلى الأبيض جعل المدينة تبدو أكثر اختلافا أو تباينا من ناحية السكان وهذا الإختلاف أو التباين هو الذى دفع الرحالة پالم إلى القول : « بأن الأبيض مدينة مثيرة للمسافر إليها بسبب وجود أناس من مناطق مختلفة وبعيدة ، وحتى من تمبكتو وممالك إفريقية أخرى لم يسمع بها الأوربيون من قبل » (٢) • وبمرور السنين ، عزز هذا التفاوت العنصرى بآخر إقتصادى وإجتماعى • فمثلا جون بثرك الذى زار الأبيض فى ١٨٤٧ لاحظ أن منازل الأغنياء وخصوصا الحكام والجعليين والدناقلة والتجار الأجانب مبنية من الطين • أما السكان الفقراء فمنازلهم أكواخ من القش تفصل بينها حواجز من الشوك (٣) • وقد اتسعت الشقة بين الأغنياء والفقراء من سكان المدينة فى العقدين الأخيرين من

---

١ ـ Pallme, I. Travels in Kordofan, London, 1844, p. 285.

٢ ـ المصدر السابق صفحة ٢٧٧ .

٣ ـ Petherick, J., Egypt, the Soudan and Central Africa, Edinburgh, 1861, p. 301.

حكم الأتراك مما أدى إلى ظهور طبقة غنية معظمها من التجـار القادمين من النيل والأجانب ، كالمصريين والسوريين والإغريق • ولقد أثرت هذه الطبقة من التجارة والرقيق ، وامتلك بعضهم أعدادا كبيرة من الرقيـق واستطاع بعضهم تجميع ثروات طائلة عن طريق السماح لهم بواسطة الأتراك بفرض ضرائب على قبيلة معينة أو احتكار تجارة منطقة معينة مقابل تنازلات مالية للأتراك •

وفى أواخر أيام حكم الأتراك سيطر هؤلاء التجار على الحياة فى مدينة الأبيض والتى صارت آنذاك المدينة الثانية فى السودان بعد العاصمة الخرطوم •

الأبيض فى نهاية القرن التاسع عشر :

ولنتحدث الآن عن المدينة فى نهاية القرن التاسع عشر أو فى فترة المهدية • تعرضت الأبيض فى خلال حكم المهدية إلى تقلبات مختلفة • هوجمت المدينة من قبل جيش المهدية فى عام ١٨٨٢ ؛ ونسبة للخلافـات القائمة بين الفـرق المختلفة فى المدينة وخصوصا بين أتباع الثرى الياس باشا أم برير وأحمد بك دفـع الله فقد استسلمت المدينة نهائيا فى يناير ١٨٨٣ • وعند دخـول قوات المهدى إلى المدينة تمكن بعض السكان من التسلل إلى الخارج وماتت أعداد كبيرة أخرى • وقد اتخذ المهدى من مبنى المديرية ــ منزل محمد سعيد باشا ، آخر حاكم تركى ــ مقرا يدير منه شئون المناطق التى وقعت تحت سيطرته • وبعد إقامة قصيرة فى الأبيض غادرها المهدى متجها إلى المناطـق النيلية بعد أن أصدر تعليماته لأتباعه ومريديه ليلحقوا به • واستجابة لتلك التعليمات غادرها عدد من الأعيان وبعض العائلات إلى المناطق النيلية مما أدى إلى نقص كبير فى سكان المدينة (١) • إلا أن الحامية المهدية ظلت بها لفترة طويلة من عمر الحركة المهدية ولقد كان يحكم المدينة أمير أو حاكم من قبل المهدى ثم الخليفة عبد الله من بعده• وبالرغم من انخفاض النشاط التجارى خلال فترة المهدية فإن السوق التجارى ظل موجودا حتى عام ١٨٩٥ (٢) • هذا وقد خلت المدينة من السكان فى أواخر

١ ــ كمثال لاحد الاعيان الذين ذهبوا الى النيل استجابة لامر المهدى نذكر السيـد المكى بن السيد اسماعيل الولى مؤسس الطريقة الاسماعيلية والذى جاء الى أمدرمان وسكن فى منطقة صارت تعرف باسمـه فيمابعـد .

٢ ــ Intelligence report, Egypt, No. 39, June, 1895.

حكم المهدية ، وتشير التقارير إلى أنه بالإضافة إلى جنود المهدية المكونة من مائة وخمسين من الجهادية حاملى البنادق وخمسين من البقارة أو فرسان من قبيلة البقارة فإن السكان من مختلف القبائل كان عددهم مائة شخصاً (١) • ولكن أفول مدينة الأبيض كان مؤقتا إذ أنه فى مطلع هذا القرن هيأ القدر للأبيض أن تكون من المدن السودانية الهامة •

الأبيض فى العصر الحاضر ـ الصلة مع الماضى :

ما هى العوامل التى تربط الأبيض فى القرن العشرين مع الأبيض فى القرن التاسع عشر ؟ أولا ، هنالك بعض الأطلال تقف اليوم رمزا للصلة مع الماضى • فمثلا « كشك المديرية » أو البوابة التى تقف فى جنوب الأبيض • فهذه البوابة ومالها من صلة بالحكم التركى صارت رمزا للسلطة والقوة والجاه • ولهذا حرص معظم حكام كردفان على إقامة مساكنهم فى المنطقة المحيطة بها • فنجد المهدى ، كما ذكرنا آنفا ، يقيم معسكره بالمنطقة بعد هزيمة الأتراك ، والبريطانيون أقاموا بها أيضا بعد إستيلائهم على كردفان فى سنة ١٨٩٨ • ومنذ استقلال السودان فى عام ١٩٥٦ ، فان قصر الحكومة والمبانى الرسمية الأخرى موجودة فى نفس المكان • وهكذا وبسبب هذا المعنى الرمزى الهام ظلت المنطقة إلى الجنوب من الأبيض جزءاً من المدينة فى كل مرحلة من مراحل تطورها (٢) • ثانيا ، هنالك أشياء دينية تربط الماضى بالحاضر والحاضر بالماضى • فمثلا قبر اسماعيل الولى مؤسس الطريقة الاسماعيلية ، والذى قام حوله « حي القبة » ، أحد الأحياء السكنية القديمة فى المدينة • فبعد رجوع المكى بن اسماعيل الولى من امدرمان قرر أن يقيم قبة على قبر والده • وما أن انتهى البناء فيها وكان ذلك فى عام ١٩٠٣ حتى توافد أتباع الطريقة الاسماعيلية من مختلف الأرجاء وأقاموا مساكنهم حول القبة ، مما جعلها بالتدريج مركزا دينيا وإجتماعيا هاما ، وتوسعت المنطقة المحيطة بها ، والتى

---

١ ـ Intellinence report, Egypt, No. 59, Feb. to May, 1898.

٢ ـ ذكر هذه العبارة يجب أن ألا ينسينا الحقيقة الهامة وهى أن هذا الجزء من المدينة اختاره الاتراك ، ومن المحتمل الفور من قبلهم ، نسبة لوفرة المياه به . الواقع ان وجود الماء فى هذا المكان من المدينة جعل حكام الابيض فى العصور المختلفة يتخذون منه مسكنا لهم .

صارت تعرف بحي « القبة » • ثالثا ، الصلة مع الماضى نجدها متماثلة فى الوفاء لزعماء القبائل والأعيان • فبعد الإحتلال البريطانى أتخذت الخطوات اللازمة لإعادة سكان كردفان إلى ديارهم الأصلية ولذلك حفرت الآبـار الواقعـة فى طريق الأبيض ــ الدويم • كذلك قد صدرت الأوامـر على النحو التالى : ــ « الأشداء من الرجال والنساء مسموح لهم بالرحيل وعليهم جميعا التوجه إلى الدويم حيث يستلمون مقدارا من الذرة ، بشابة زاد للطريق وبذور للزراعة ، على أن لايزيد عددهم على الثلاثة آلاف (١) » • ولقـد إستجاب كثير مـن زعماء القبائل والأعيان لنداء العودة وتوجهوا إلى مختلف بقـاع كردفـان • وحتى أولئك الأعيان الذين غـادروا الأبيض إلى النيـل طلب منهم الامتثال للأوامر الصادرة من حكومة الخرطوم والقاضية بذهابهم إلى كردفان • فمثلا السلطان حامد جبر الدار ، سليل عائلة المسبعات ، طلب منه الذهاب إلى منطقة الجزيرة ليجمع من يجـده من قبيلة المسبعات ويتوجه بهم إلى الدويم ومنها إلى الأبيض (٢) • والمهم فى الأمر أن أماكن إقامة هؤلاء الأعيان فى أجـزاء الأبيض المختلفة صارت نواة لأحياء سكنية سرعان ما ظهرت للوجود •

ومما تقدم ندرك أن الوشائج بالماضى لم تنقطع قطعا نهائيا بالرغم مـن الهزة العنيفة التى تعرضت لها المدينة فى أواخر عهد المهدية •

والآن نأتى إلى العوامل التى أدت إلى تطور المدينة فى القرن الحـالى ونناقش ما تنطوى عليه تلك العوامل • ولتبسيط مناقشة هذا التطور نقسمه إلى ثلاث مراحل • أولا الفترة من الإحتلال البريطانى إلى نشوب الحـرب العالمية عام ١٩٣٩ ، ثانيا ، الفترة من عام ١٩٣٩ إلى إستقلال السودان فى عام ١٩٥٦ ، ثالثا ، الفترة من عام ١٩٥٦ إلى الوقت الحاضر أو عام ١٩٦٧ •

المرحلة الأولى ــ الأبيض مركزا اداريا :

ولنتحدث عن المرحلة الأولى : ــ إتخذ البريطانيون مـن مدينة الأبيض مقرا لادارة كردفان ، وبالتدريج خلقوا نظامـا إداريا مبسطا يهدف إلى توفير

---

١ ــ Sudan intelligence report No. 71, 9th June to 8th July, 1900.

٢ ــ يظهر هذا فى خطاب باللغة العربية كتب الى السلطان حامد جبر الدار بتـاريخ ٢٥ يوليو عام ١٩٠٠ وممهور بامضـــاء M. E. Wall مدير مخـــابرات امدرمان . هذا والخطاب الآن بحوزة أسرة السلطان جبر الدار .

الأمن والنظام فى مديرية كردفان • وكان على قمة هـذا النظام الإدارى مدير المديرية والذى كان مسئولا مباشرة لدى الحاكم العـام فى الخرطوم • ولقد قسمت مديرية كردفان إلى مراكز وصارت الأبيض مركزا إداريا معروفا بإسم « المركز الوسط » • وهكذا أصبحت المدينة مقرا لمدير المديرية ومفتش المركز وكلاهما بريطانى الجنسية • ومع احتفاظ هذين المسئولين بسلطات كبيرة إلا أنهما استعانا بمجموعة من صغار الموظفين • ولسد احتياجات هؤلاء الموظفين وفد إلى المدينة تجار البقالة وخاصة الإغريـق • ولقد استعان البريطانيون فى حكم « الأهالى » بالزعماء التقليديين القبليين • فمثلا فى الثلاثينات كان هنالك مجلس للأعيان يساعد مفتش المركز فى إدارة المدينة • أما على مستوى المركز فقـد تم دمج العديد من القبائل تحت زعامة الناظـر والذى أختير من قبيلة البديرية وهى القبيلة صاحبة الأغلبية فى المركز • وقد أوكل للناظر بعض المهام الإدارية كحفظ النظام والقانون وجمع الضرائب وما شـابه ذلك • ولما كانت فرية الناظر بعيدة عن رئاسة المركز فقد نقل مقره إلى الأبيض وهكذا صارت المدينة ، بالإضافة إلى وظيفتها كعاصمة لمديرية كردفان ومقر المركز الوسط ، المكان الرئاسى للإدارة الأهلية • ونتج عن هذا تقاطر أعداد كبيرة من سكان القرى المجاورة إلى المدينة وخاصة من قبيلة البديرية ، وقامت أكواخ هؤلاء القرويين حول منزل زعيمهم وبالتدريج نشأت منطقة سكنية مكونة من أهـل الريف فى الجـزء الشمالى الغربى مـن المدينة • وبالإضـافة إلى هـذا فإن الإجراءات الإدارية المختلفة التى اتخـذها البريطانيون مهدت الطريـق أمام خطوات إقتصادية هامة تمت فى هذه المرحلة الأولى من تطور المدينة •

الأبيض وخط السـكة حـديد :

بداية التغييرات الإقتصادية كان فى حقـل النقـل والمواصلات • ففى الثلاثين من ديسمبر عام ١٩١١ وصل الخط الحديدى إلى الأبيض ليخدم كـل المديرية وبالأحرى كل غرب السودان (المنطقة التى تشمل مديريتى كردفـان ودارفور) وليربط تلك المنطقة بالعالم الخارجى • وبما أن السكة الحديد تمثل نظاما أكثر تقدما من الوسائل التقليدية (كالدواب مثلا) فهى قد قادت بالتالى إلى تحريك النشاط التجارى ، وجلب منتجـات كردفان ودارفور وخصوصا

الصمغ العربى والحبوب والأبقار إلى الأبيض بغرض تصديرها • وكان العملاء فى هذه التجارة آنذاك من التجار الأجانب كالإغريق والبريطانيين والسوريين والإيطاليين وغيرهم • وأدى وجود هؤلاء التجار فى الأبيض إلى خلق سوق هامة وشجع المزارعين على إحضار محصولاتهم ، وخاصة الصمغ إلى المدينة لتأكدهم من بيعها بأثمان مجزية • وكما هو متوقع فقد توافد إلى الأبيض بسبب السكة الحديد ونمو تجارة التصدير مجموعات من العمال غير المهرة من جهات مختلفة من كردفان ودارفور وخلافهما • فمثلا توافد على الأبيض من أجل العمل مجموعات من البديرية والجوامعه وأهل دارفور والفلاته وغيرهم وبالإضافة إلى هؤلاء نزحت إلى المدينة مجموعات لها خلفيات ثقافية وإجتماعية مختلفة كالجعليين والمحس والجعافرة وقبائل أخرى عديدة •

الأبيض مركز تجارى هام :

وفى هذا الأثناء أتخذت خطوات لتقوية النشاط التجارى والذى حركه وجود خط السكة الحديد • ومن هذه الخطوات إدخال نظام الدلالة بتشجيع من الحكومة لتسهيل عملية التسويق فى الأبيض وفى بعض الأسواق الرئيسية الأخرى بكردفان • وبذلك إنخفضت عملية المساومة بين المشترين والمنتجين مما ضمن للمنتجين أسعارا معقولة شجعتهم على المضى فى زراعة محاصيل أكثر وبمساحات أكبر • هذا وتتجمع معظم هذه المحصولات فى سوق الأبيض حيث تخزن استعدادا لتصديرها • وبمعنى آخر فإن تسهيلات الدلالة هذه ساعدت فى قيام وتنمية تجارة التصدير وخاصة فى الصمغ العربى والفول السودانى والسمسم وخلافها من محاصيل كردفان الأخرى•أما الحبوب والخضر والفاكهة فتجلب إلى المدينة من أجزاء كردفان المختلفة للإستهلاك اليومى • ومن أهم العوامل التى ساعدت فى تكثيف الحركة التجارية والنمو الزائد فى المدينة ظهور « اللورى » وازدياد حركة النقل بالعربات بعد ١٩٢٥ • هذا ونسبة لأن الأبيض كانت نهاية الخط الحديدى فقد كانت المركز الوحيد لتوزيع البترول لجميع المناطق المحيطة بها مما جعلها ميناءاً داخليا تؤمه العربات من جميع الجهات أو ملتقى هاما لعدة طرق بريه • ولعل من أهم الطرق التى تصل الأبيض هو ذلك الطريق الذى يربط المدينة بالنهود والفاشر والجنينة ومدينتى أبشى

وفورت‌لامى فى شاد • ومن المعروف أن مئات العربات تأتى وتذهب شهريا من المدينة وخاصة فى موسم الإنتاج من أكتوبر إلى مارس تحمل البضائع والركاب من وإلى الأجزاء الغربية من مديرية كردفان وأيضا من دارفور وشاد• كذلك هنالك طريق هام يربط الأبيض بالدلنج والأجزاء الأخرى من منطقة جبال النوبة حيث نجد الكثير من العربات والتى تخرج من الأبيض محملة بالمواد الإستهلاكية وتعود إليها محملة بالمحصولات والمسافرين • ولا يفوتنا أن نذكر طريقا آخر يربط الأبيض بكل من بارا فى منطقة دار حامد وسودرى فى منطقة الكبابيش • باختصار لقد صارت الأبيض مركزا تجاريا هاما بفضل الخطوات التى أتخذت لتقوية النشاط التجارى وبفضل العربات والتى كان لها أثر كبير فى ربط المدينة بأجزاء غرب السودان المختلفة والمناطق المجاورة لها • وكل هذا يعنى زيادة فى الحركة من وإلى الأبيض وبمرور الزمن إتخذت أعداد كبيرة من الأفراد والجماعات مدينة الأبيض مسكنا لها • وهكذا إزداد عدد سكانها من حوالى ٦٫٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٠٠ إلى ١٢٫٠٠٠ فى سنة ١٩٠٨ ، إلى ٢٥٫٠٠٠ فى سنة ١٩٣٣ ثم إلى حوالى ٣٢٫٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٤٠ •

المرحلة الثانية ـ نمو الحركة التجارية :

بدأت هذه المرحلة مع نشوب الحرب العالمية الثانية ، وبسبب ظروف الحرب فقد إزداد الطلب على منتوجات كردفان خاصة الماشية والحبوب والصمغ وصارت مدينة الأبيض نقطة إلتقاء لهذا النشاط التجارى • وارتفعت القوة الشرائية إرتفاعا ملموسا بسبب الإهتمام والإتجاه نحو التجارة لدى سكان المدينة والمناطق المجاورة ، بالرغم من الإرتفاع العام فى الأسعار عقب الحرب • وهذه الزيادة فى القوة الشرائية كانت كافية لخلق نشاط تجارى وتطوير بعض الأعمال الأخرى فى المدينة • فلقد إنتعشت تجارة الإستيراد على وجه الخصوص وأحدثت بذلك خطوة هامة فى تنويع إقتصاد المدينة • وطبيعى فإن تصاعد أهمية الأبيض التجارية جذب إليها أعداداً كبيرة من الناس من داخل وخارج السودان • ونسبة لأن فرص العمل فى الأبيض أكثر من مناطق كردفان الأخرى فإن الرغبة فى الهجرة تعاظمت لدى أهل الريف من كردفان ومن أجزاء مختلفة من السودان • وهكذا أخذ بعض الأفراد والجماعات

متوسطى الحـال طريقهم إلى الأبيض وانخرطوا فى تجارتها النامية • أما من خارج السودان فلقد جاءت جماعات أخـرى من الأقباط والسوريين والهنود واستقروا فى المدينة وعملوا فى تجارة الإستيراد وخاصة الأقمشة •

الأبيض مـركز للخدمات الاجتماعية :

بالإضافة إلى العوامل الإقتصادية فإن وجود بعض الخدمات العامة مثل الماء والتعليم والصحة فى الأبيض وانعدامها فى كردفان ودارفـور كان عامـلا مساعدا على جذب العديد من الناس إلى المدينة • وبالتالى يعنى هذا العدد من الناس زيادة فى الحاجة إلى خدمـات عامة فى مختلف المجالات • فمثلا الحاجة إلى المـاء إرتفعت من ٢١٫٠٠٠ طناً فى ١٩٣٣ إلى ٦١٫٠٠٠ طناً فى ١٩٣٨ إلى ٧٥٫٠٠٠ فى ١٩٤٠ إلى ١٦٢٫٠٠٠ فى ١٩٤٣ و ٢٨١٫٠٠٠ فى ١٩٤٩ م • وكلما توفرت الخدمات زاد تدفق المهاجرين إلى المدينة وهكذا إرتفع تعداد السكان إلـى ٣٣٫٣٢٨ فى ١٩٤١ إلـى ٣٧٫٠٠٠ فى ١٩٤٤ إلـى ٥٢٫٣٧٢ فى تعـداد ١٩٥٥/٥٦ •

أما من الناحية الإدارية فإن المرحلة الثانية من نمو المدينة شهدت تطور الحكم المحلى ؛ وبمقتضى لوائح قانون الحكم المحلى (١٩٣٧) فلقد أصبح لكردفان مجالسها المحلية التى يغلب عليها الطابع الريفى • وبالمثل فلقد نالت الأبيض مجلسها الخاص بها والذى أفتتح فى الثانى من يوليو ١٩٤٢ م • ولقد كان مجلسا محليا تنفيذيا كامـلا ذا ميزانية مستقلة ومسئوليات كبـيرة فى إدارة وتمويل الشئون المحلية • وبعد ذلك بقليل أنشأ مجلس المديرية وهـو مكون من ممثلى أجهزة الحكومة المركزية فى كردفـان بالإضـافة إلى أعضاء معينين • وفى أغلب الأحوال قد كان عمل هذا المجلس إستشاريا • أما السلطة الكاملة فقد كانت فى يد المدير • وأهم التغييرات فى الجهاز الإدارى جاءت بعد الإستقلال،ومن الأحسن أن نناقشها ضمن المرحلة الثالثة من نمو مدينة الأبيض•

المرحلة الثالثة لتطوير مدينة الأبيض :

يمكننا أن نقول بإن هذه المرحلة بدأت قبل سنة ١٩٥٦ أى فى الأربعينات عندما حرّكت الدعوة إلى الإستقلال الحياة السياسية فى الأبيض • ففى خلال

تلك الفترة تكونت فروع من الأحزاب الوطنية فى المدينـــة وأصبحت الأبيض بذلك مركزا لكل النشـــاط السياسى فى كردفـــان حيث كانت تعقـــد فيهـــا الإجتماعات الحزبية. ولقد كانت المدينة مكان استقبال القادمين المهمين على مستوى القطر وكذلك وفود الأحزاب من الخرطوم . وبعد الإستقلال ومع بداية حركة السودنة فقد حدثت تغيرات كبيرة فى التركيب الإدارى لمدينة الأبيض وبالطبع فإن هذا يثير الدهشة اذ أن الحكومة الوطنية ، بخلاف الحكومة الإستعمارية ، تسعى لتوفير إحتياجات مواطنيها وهذا يتطلب جهـــازا إداريا متقدما . وفى الواقع ، وعلى المستوى المحلى فقد كبرت عضوية مجلس المدينة ليضم أثنين وعشرين عضوا منتخبا وسبعة بالتعيين . وكونت لجان متخصصة وقد ضـــم المجلس تســـع من هـــذه اللجـــان وهى : ـــ

المالية ، شئون الموظفين ، الأشغال ، الصحة ، التجارة ، التعليم ، الأغراض العامة والتنمية الاجتماعية . وكل هذا يعنى أن مجلس المدينة أصبح له الكثير من السلطات والمسئوليات . كذلك من المهم أن نشـــير إلى أنـــه قـــد تم خلق مجلسين على مستوى المديرية فى ســـنة ١٩٦٠ : مجلس المديريـــة ليرســـم السياسة ويخطط ، ومجلس تنفيذى المديرية لينفذ . وتشمل عضوية مجلس المديرية أعضاء من المجالس المحليـــة فى كردفـــان ، وأعضاء معينين ، ورؤساء المصالح الحكومية فى المديرية ، وهم حكيمباشى صحـــة المديريـــة ، والمفتش البيطرى ، ومفتش التعليم والمفتش الزراعى ومساعد محافظ الغابات ، ومهندس الأشغال ، والمدير الإقليمى لهيئة توفـــير المياه والتنمية الريفية . أمـــا المجلس التنفيذى فيتكون من هؤلاء الموظفين بالإضافة إلى مدير المديرية . ولقد كانت أعمـــال البوليس والأمن تحت إشراف « لجنة الرقابة » أو لجنة الأمن المكونة من أربعة أعضاء برئاسة مدير المديرية . وهـــذه اللجنة مسئولة مباشرة لدى وزير الداخلية بالخرطوم . وباختصار فلقد صارت الأبيض مركزا لجهاز إدارى معقد . وهذا يعنى مضاعفة الجهود لتحسين المبانى الحكومية لما قبل الحرب وتشييد مبانى أخرى جديدة . وبالفعل فقد تم تشييد كثير من المبانى للحكومة المركزية والمحلية فى مكان المديرية وفى منطقة السوق الرئيسى . وبخلاف هاتين المنطقتين فقد تم بناء منازل حكومية ونقاط ومراكز للبوليس فى أرجاء المدينة المختلفة لإيواء الأعداد المتزايدة من موظفى الدولة .

أما فى الحقل الإقتصادى فالأبيض فيما بعد الإستقلال قد شهدت تطورات إقتصادية هامة إنعكست فى الآتى : ــ أولا ، غادر المدينة عدد كبير من التجار الأجانب إلى الخرطوم أو إلى بلادهم نهائيا ، وحل محلهم تجار سودانيون من الذين استطاعوا توفير رأس المال اللازم لتوسيع تجارتهم والتفكير فى جوانب أخرى للإستثمار • وهذا الإتجاه قاد إلى خطوة أخرى فى تطور الأبيض الإقتصادى ، وبالتحديد نمو الصناعات الخفيفة مثل معاصر الزيوت ومصانع الصابون وكثير من الورش المختلفة الأحجام لتصليح العربات وخلافه • ثانيا ، تعددت المؤسسات التجارية والمصرفية ؛ فقد تم إنشاء العديد من البنوك فى تلك الفترة مثل فرع بنك مصر ١٩٥٥ « بنك الشعب التعاونى حاليا » وبنك باركليز ١٩٥٢ « بنك الدولة للتجارة الخارجية حاليا » والبنك التجارى السودانى ١٩٦٤ • ثالثا ، تم إنشاء غرفة كردفان التجارية عام ١٩٥٥ لتعنى بالتجارة وشئون التجار فى الأبيض بصفة خاصة وفى كردفان بصفة عامة • رابعا ، تم فى فترة ما قبل الإستقلال توسيع وتشييد العديد من الأسواق الفرعية فى أحياء المدينة المختلفة كسوق الميرم ، وسوق حي البترول ، وحي أمير مما ساعد فى تنشيط حركة التجارة والتبادل • كل هذه الأشياء تشير إلى أن الأبيض قد شهدت نشاطا إقتصاديا ملحوظا بعد الإستقلال • هذا وقد قاد هذا النشاط إلى تدفق المهاجرين من الأفراد والجماعات إلى الأبيض وجاء هؤلاء إلى المدينة ليس من كردفان فحسب ، بل من أماكن أخرى من البلاد •

الخـــلاصة :

يوضح لنا السرد السابق أنه نسبة للطبيعة والمميزات الجغرافية لموقع مدينة الأبيض ونسبة للجهد الإنسانى لتحسين وتطوير تلك المميزات عن طريق الخطوات الإدارية والإقتصادية تطورت المدينة وصارت مركزا تجاريا هاما وملتقى لعدة مجموعات تتباين لغة ودينا وثقافة • هذا وعلى الرغم من أن السرد السابق لم يحدثنا كثيرا عن الخصائص الثقافية والإجتماعية لتلك المجموعات ، إلا انه ، وعلى وجه الخصوص ، قد أوضح لماذا جاءت تلك المجموعات إلى الأبيض واتخذت منها موطنا •